لغز الرجل الذي طار



محمود سالم

لغز الرجل الذي طار

تأليف
محمود سالم



لغز الرجل الذي طار

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٠٦ ٠

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

أخبار مثيرة

كان الأصدقاء الخمسة وبجوارهم الكلب «زنجر» يجلسون في حديقة منزل «عاطف» حيث اعتادوا الاجتماع كلما دخلوا مغامرة جديدة. لم يكن أحد منهم يتحدث بل كانوا جميعًا يقرءون الصحف الصباحية الثلاثة: الأهرام والأخبار والجمهورية.

كانت أنظارهم جميعًا مركزة على موضوع واحد منشور في الصفحة الأولى دليلًا على أهميته البالغة.

وكان عنوان الأهرام: اختفاء عالم مصري في ظروف غامضة.

وكان عنوان الأخبار: عالم مصري يختفي دون أن يترك أثرًا.

وكان عنوان الجمهورية: قصة مثيرة عن اختفاء عالم مصري.

كانت العناوين كلها متشابهة، وكان «تختخ» يقرأ وخلفه «لوزة» واقفة تقرأ معه، وكانت «نوسة» تقف خلف «عاطف»، وكان «محب» يقرأ، ولكنهم جميعًا كانوا يتابعون السطور باهتمام شديد والصحف الثلاث تصف كل ما حدث ... ولم يكن ما حدث كثيرًا، فرجال الشرطة أنفسهم لم تكن عندهم معلومات كافية عن اختفاء العالم الدكتور «عرفان» ... ولم يكن ما روته الصحف الثلاث يزيد على هذه المعلومات.

إن العالم الدكتور «عرفان» يقوم بأبحاث هامة.

إنه يسكن وحيدًا مع رجل عجوز يُدعى «موسى» يقوم على خدمته.

إنه يسكن فيلا منعزلة في المعادي.

إنه تخلَّف منذ يومين عن الذَّهاب إلى مكتبه.

إن زملاءه عندما اتصلوا بمنزله ولم يجدوه شكُّوا في الأمر، وخاصة أنه لا يتغيَّب مطلقًا عن مكتبه، فاتصلوا برجال الشرطة.

وأخذ «محب» يقرأ بصوت مرتفع ما فعَله رجال الشرطة كما روته الصحيفة … عندما توجَّه رجال الشرطة إلى فيلا الدكتور «عرفان» وجدوا «موسى» مُقيَّدًا ومُكمَّمًا وفي حالة إعياء شديد، ولم يجدوا أثرًا للدكتور «عرفان» في منزله، وروى «موسى» — بعدما أصبح في حالة تسمح له بالكلام — أنه منذ يومين وفي الساعة العاشرة ليلًا حضر ثلاثة رجال يتحدثون لغة أجنبية لا يعرفها، لزيارة الدكتور الذي كثيرًا ما استقبل مثلهم بحُكْم عمله. وبعد أن دخل الرجال الثلاثة إلى المنزل وجلسوا مع الدكتور «عرفان» في قاعة مكتبه، دخل «موسى» إلى المطبخ ليقدم لهم بعض المشروبات، وبينما هو يقف في المطبخ فوجئ بشخص يقف خلفه، وقبل أن يلتفت ليعرف من هو أحس بضربة شديدة تنزل على رأسه فسقط مُغمًى عليه، وعندما أفاق وجد نفسه مُقيَّدًا ومُكممًا في المطبخ، وظل على هذه الحال حتى حضر رجال الشرطة … ووصف «موسى» الرجال الثلاثة لرجال الشرطة.

قال «عاطف»: هذه هي كل المعلومات وهناك صورة منشورة للدكتور «عرفان» ونداء إلى المواطنين أن يُدْلوا بأيَّة معلومات تُفيد رجال الشرطة في العثور عليه.

عاد الأصدقاء إلى الصمت ثم قالت «لوزة»: لقد وقعت جريمة خطف في المعادي، وهذه منطقة نعيش فيها ولا يمكن أن يقع فيها مثل هذا الحادث دون أن نتدخل.

نوسة: إنها قضية كبيرة وخطِرة، وأعتقد أننا لن نستطيع أن نفعل شيئًا.

محب: ما رأيك يا «تختخ»؟ …

تختخ: المهم أن تتوافر معلومات أخرى يمكن أن تكون دليلنا إلى العمل، فهذه المعلومات لا تكفي لمعرفة مصير الدكتور «عرفان».

لوزة: ولكن ما هي اللغة الأجنبية التي كان يتحدث بها الرجال الثلاثة؟

تختخ: هذا سؤال هام … ولكن الجرائد لم تذكر شيئًا عن هذا الموضوع!

نوسة: في إمكاننا أن نسأل المفتش «سامي».

محب: لو كان المفتش «سامي» يريد أن نتدخل لاتصل بنا.

عاطف: إنه يظن باستمرار أننا أصغر من هذه القضايا الكبيرة … ولعلكم تتذكرون لغز «القفاز الأحمر» ولغز «الوثائق السرية» ولغز «المهرب الدولي»، لقد كان يظن أننا لن نستطيع حلَّها.

لوزة: أقترح أن يتصل به «تختخ» ويعرض عليه مساعدتنا لرجال الشرطة لحل هذا اللغز، فربما اقتنع بذلك.

وتحمَّس الأصدقاء جميعًا لهذا الاقتراح وأبدى «زنجر» حماسته بهز ذيله وإطلاق نباح خافت فقال «عاطف»: إن «زنجر» موافق أيضًا ... ونحن لا نستطيع أن نتجاهل العضو السادس في المغامرين.

وضحك الأصدقاء ... وقالت «نوسة»: هل أحضر لك التليفون يا «تختخ»؟ تردد «تختخ» قليلًا، ولكن «نوسة» لم تنتظر موافقته، فقد انطلقت إلى داخل الفيلا وعادت ومعها جهاز التليفون، ورفعت السماعة وأعطتها لـ «تختخ» الذي مدَّ أصبعه وأخذ يدير رقم صديقهم مفتش المباحث الجنائية «سامي».

وركز الأصدقاء جميعًا أنظارهم وآذانهم على «تختخ» وأخذوا يستمعون إلى المكالمة.

قال «تختخ»: أنا «توفيق»!

وسكت قليلًا ثم قال: نحن جميعًا بخير ... وقد قرأنا اليوم خبر اختفاء أو اختطاف الدكتور «عرفان».

وسكتَ مرة أخرى ثم عاد يقول: نعم نحن نريد أن نتدخل، فهذه الجريمة وقعت في المعادي ... في منطقة اختصاصنا.

وسكت للمرة الثالثة وهو يستمع إلى حديث المفتش «سامي»، ثم قال: لا تخشَ شيئًا، سنحاول فقط أن نجمع بعض المعلومات ونقدمها لكم وعليكم الباقي.

ثم عاد للسكوت يستمع إلى المفتش ثم قال: نحن نحتاج إلى معلومات أكثر، فما نشرته الجرائد ليس كافيًا.

ثم عاد يستمع وردَّ قائلًا: نحن في انتظارك.

ووضع «تختخ» السماعة، ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: لقد كان المفتش في طريقه إلى المعادي لاستكمال التحقيق، وقد اتفقت معه أن يمر علينا ويشرح لنا بتفاصيل أكثر كيف وقع الحادث.

وصفَّقت «لوزة» بحماس قائلة: سيصبح عندنا لغز ونجمع الأدلة! هزَّ «عاطف» رأسه ثم قال: لقد كنتِ تقولين عنها زمانًا إنها «أذلة» وليس «أدلة» ... لقد تحسَّنت معلوماتك اللغوية.

ردت «لوزة»: إنك دائمًا تطاردني بنكاتك، وليس عندي مانع إذا كانت نكاتك ظريفة ... ولكن للأسف هذه النكتة ...

نوسة: لا تضيِّعوا الوقت في معركة كلامية. ادخلي يا «لوزة» وجهزي كوب عصير الليمون للمفتش.

وانصرفت «لوزة» وبقي الأصدقاء يتناقشون، ومضت ساعة ثم سمعوا صوت سيارة المفتش «سامي» ... تقف عند باب الحديقة، ثم نزل المفتش بقامته الطويلة ونظارته السوداء، وأسرع الأصدقاء جميعًا يرحِّبون به، ثم جلس بينهم وخلع نظارته لحظات وأخذ يفرك عينيه ... وكان واضحًا أنه مجهد وأنه لم ينم ما يكفي، وأسرعت «لوزة» تقدم له كوب الليمون المثلج فشربه ثم اعتدل ووضع نظارته على عينيه، وقال: لقد حضرت إليكم لأنني أثق فيكم ... وسوف أخبركم بمعلومات هامة يجب أن تظل سرًّا بيننا ... إنها معلومات لم تنشرها الصحف حتى لا يتنبَّه الخاطفون الثلاثة إلى أننا نعرف الكثير عنهم.

سأل «عاطف»: هل حددتم جنسية الرجال الثلاثة؟

ردَّ المفتش: لا، ولكننا حصرنا بعض الأفكار الهامة، منها أنهم استخدموا سيارة سوداء كبيرة ظلت دائرة في أثناء الاختطاف أمام الباب.

محب: وهل عرفتم أرقام السيارة؟

المفتش: ليس بعد، ولكننا سوف نصل إليها.

سكت المفتش قليلًا ثم عاد يقول: كانوا ثلاثة وكانوا يتحدثون اللغة الإنجليزية ... وأحدهم قصير القامة بدرجة ملحوظة ورأسه كبير، والباقيان شكلهما عادي ولكن أحدهما يعرج قليلًا في مشيته. وقد فتَّشوا الفيلا كلها ... والمعمل الصغير الملحق بها. وكسر أحدهم أنبوبة اختبار في المعمل وجرح يده جرحًا كبيرًا ... فقد وجدنا آثار دماء كثيرة برغم أنهم حرصوا على غسل مكانها ... ولكن المعمل الجنائي استطاع أن يتأكد من وجود الدماء في أكثرَ من مكان ... ثم عثرنا على قطرات من الدم على الأرض والسلالم وفي الشارع؛ مما يؤكد أن الجرح كان كبيرًا.

وصمت المفتش «سامي» ... والأصدقاء يستمعون إليه باهتمام كبير، ثم قال: من الواضح أنهم أجانب طبعًا ... وقد فحصنا جميع سجلات الفنادق وتابعنا مئات الأشخاص، ولكن نظرًا لوجود ألوف السياح، كان من الصعب متابعتهم جميعًا.

وسأل «محب»: ألم تعثروا على بصمات؟

المفتش: عثرنا على بصمات ولكنها ليست واضحة، ويبدو أنهم عُنوا بمسح كل الآثار التي تركوها، وأعادوا ترتيب كل شيء في مكانه.

تختخ: إن العثور على شخص بيد جريحة مسألة ليست صعبة جدًّا!

المفتش: هذا إذا كانوا ما زالوا هنا ... فمن المحتمل جدًّا أن يكونوا قد غادروا البلاد وخاصة أننا لم نعرف الحادث إلا بعد وقوعه بثلاثة أيام، وهي مدة كافية لكي يهربوا.

تختخ: ولكن إذا كانوا قد تركوا البلاد فلماذا لم يظهر الدكتور «عرفان» حتى الآن؟

المفتش: هذا هو السؤال الذي نبحث عن إجابته ... هناك أيضًا احتمال وهم أنهم ما زالوا في البلاد ... ومعهم الدكتور.

تختخ: هل تسمح لنا بالتحري والبحث؟

المفتش: ولكن كونوا في منتهى الحذر، والمعلومات التي قلتها لكم يجب أن تبقى في الكتمان.

لا شيء

في صباح اليوم التالي كان ثلاثة من الأصدقاء يدورون حول فيلا الدكتور «عرفان» بعد أن عرفوا العنوان من المفتش «سامي». كان الثلاثة هم «تختخ» و«عاطف» و«نوسة» ... وكانوا يتظاهرون بأنهم يلعبون، ولكنهم في الحقيقة كانوا يراقبون الفيلا الساكنة والتي كان يحرسها أحد رجال الشرطة. لقد حذَّرهم المفتش «سامي» من أن يتظاهروا بأنهم يعرفون شيئًا وكان عليهم أن يجمعوا معلوماتهم دون أن يحس أحد.

كانت الفيلا صغيرة مبنية بالطوب الأحمر المصقول ومكونة من دَوْر واحد يرتفع عن الأرض بأعمدة رخامية، وملحق بها مبنًى صغير أدرك الأصدقاء أنَّه معمل الدكتور «عرفان» ...

قال «تختخ» وهو يقترب من «عاطف»: إنني أتمنى أن أدخل هذه الفيلا بأي ثمن.

ردَّ «عاطف»: ذلك شيء صعب للغاية، فهناك حارس وهناك تعليمات المفتش «سامي» بأن نكون في غاية الحذر.

واقتربت «نوسة» ... قائلة: إنني لا أجد فائدة من هذا اللف والدوران حول الفيلا، ولا أظن أننا سنحصل على أيَّة معلومات.

تختخ: لقد خطر ببالي سؤال ... هل كان اللصوص الثلاثة أو الجواسيس الثلاثة يبحثون عن أوراق معينة؟

عاطف: طبعًا، بدليل أنهم فتَّشوا الفيلا.

تختخ: ومعنى أنهم أخذوا الدكتور «عرفان» معهم أنهم لم يعثروا على الشيء الذي كانوا يبحثون عنه.

نوسة: هل تقصد أنهم قد يعودون إلى تفتيش الفيلا؟

تختخ: هذا ما أتصوره ... إذا لم يدلَّهم الدكتور «عرفان» على ما يريدون.

عاطف: وماذا تقصد بهذا؟

تختخ: أقصد أن علينا مراقبة الفيلا ليلًا ونهارًا، فقد يحضُر أحدهم أو كلهم لتفتيشها مرة أخرى.

نوسة: ولكن هناك حراسة على الفيلا.

تختخ: إنهم جواسيس في غاية الجرأة، وقد خطفوا الدكتور «عرفان» بطريقة بسيطة، ولكنها في غاية الدقة فلم يتركوا خلفهم آثارًا هامة، ولم يلفتوا إليهم الأنظار ولم يرهم أحد من المارَّة، ومثل هؤلاء الجواسيس لا يترددون في عمل أي شيء ليحصلوا على ما يريدون.

كان الأصدقاء الثلاثة منهمكين في الحديث فلم يلتفتوا إلى دراجة كانت تقترب منهم في هدوء، وفجأة سِمعوا صوتًا يعرفونه جيدًا يصيح: ماذا تفعلون هنا؟

ماذا نفعل هنا؟ ... لقد نسيت! ردَّ «تختخ»: وأنا أيضًا!

عاد الشاويش وكأنه سينفجر: هل تسخرون مني؟ ... هل ... هل تسخرون من مُمَثِّل القانون؟!

تختخ: أبدًا يا حضرة الشاويش ... إننا نحترم القانون.

الشاويش: إذن ... ماذا تفعلون هنا؟

تختخ: إننا لا نفعل أي شيء كما ترى.

الشاويش: إنكم لم تأتوا هنا بالمصادفة ... فأنتم تعرفون أن حادثًا هامًّا قد وقع ...

وقبل أن يُكمل الشاويش جملته رفع «عاطف» أصبعه إلى فمه محذرًا وقال: حاسب يا شاويش إنك تُفشي أسرارًا في غاية الأهمية وتُعرِّض نفسَك للمتاعب.

اصفرَّ وجه الشاويش بعد احمراره الشديد وأخذ يتلَّفت حوله ثم أرخى عينيه في ندم وقال: أنتم إذن تعلمون؟

قال «عاطف»: نحن لا نعلم أيَّ شيء، وليس عندنا معلومات عما تتحدث عنه ولن نقول للمفتش «سامي» شيئًا.

وقبل أن ينطق الشاويش بحرف، أطلق الأصدقاء الثلاثة الدراجات وابتعدوا مسرعين إلى حديقة «عاطف» كما اعتادوا.

عندما اجتمع المغامرون الخمسة ومعهم «زنجر» لم يكن عندهم شيء يقولونه، فلم يحصلوا على معلومات أو أدلة يمكن أن ينطلقوا خلفها ... وفجأة قالت «نوسة»: هناك شيء لم يقُلْه لنا المفتش «سامي»!

عاطف: ما هو؟

نوسة: هذا الجرح الذي أُصيب به أحد الرجال الثلاثة، هل كان كبيرًا بحيث يحتاج لعلاج من طبيب؟

محب: وكيف يعرف المفتش «سامي» حجم الجرح وهو لم يره؟ لقد قال فقط إنه نزف كثيرًا بدليل وجود دماء في أكثر من مكان، فهذا يدل على أن الجرح لم يكن صغيرًا … ولكن هل يحتاج إلى طبيب أو لا يحتاج، فهذا ما لم يقُلْه وما لا يستطيع تحديده.

تختخ: دعونا نسير خلف استنتاجات «نوسة» … فإذا عرفت أن الجرح يحتاج لطبيب فماذا يعني هذا؟

نوسة: يعني أن على رجال الشرطة أن يسألوا الأطباء، فقد يحصلون على معلومات هامة تؤدي إلى الوصول إلى بعض الأدلة أو أي شيء بدلًا من الغموض الذي يحيط بالحادث.

لوزة: هل يمكن أن أقول شيئًا ولا تضحكون؟

والتفت الأصدقاء إليها في انتظار ما ستقوله فقالت: إننا نستطيع أن نعرف ما إذا كان الرجل قد ذهب إلى الطبيب أو لا إذا حصلنا على الزجاج المتخلِّف من الأنبوبة التي كسرها الجاسوس.

عاطف: كيف أيتها العبقرية؟

لوزة: إن الزجاج الرفيع عندما ينكسر يدخل في جسم الشخص المصاب، وفي هذه الحالة لا بد أن يذهب إلى طبيب ليُخرج له الشظايا التي دخلت في يده.

كان «تختخ» يستمع في صمت وهو ينظر إلى «لوزة» وهي تتحدث حتى إذا انتهت من حديثها قال: إنني أوافق على كل كلمة قالتها «لوزة»، وسأتصل بالمفتش «سامي» فورًا.

ابتسمت «لوزة» في سعادة ونظرت إلى بقية الأصدقاء في زهو، فقال «عاطف»: هل أمسكتِ الذئب من ذيله؟

تختخ: إن الإمساك بذيل الذئب هو أحسن طريق للإيقاع بالذئب نفسه.

وأسرعت «نوسة» تُحضر التليفون، وتحدَّث «تختخ» إلى المفتش «سامي»، وشرح له فكرة «لوزة» ثم قال: هل سنجد بقية الزجاج عندكم؟

قال المفتش: نعم إن البقايا موجودة بالمعمل الجنائي لرفع بعض البصمات التي وجدت عليها.

تختخ: هل القطع التي عندكم هي كل ما تخلَّف من الأنبوبة المكسورة؟

المفتش: أعتقد هذا، فقد جمَعنا كلَّ ما وجدنا من قطع الزجاج ووضعناها في كيس وأُرسل إلى المعمل.

تختخ: هل يمكن أن ترسلها لنا؟

المفتش: إذا كان المعمل الجنائي قد انتهى منها فسوف أرسلها لكم، وإن كنت غير مقتنع تمامًا بفكرة «لوزة».

تختخ: إنها على كل حال أفضل من البقاء بلا عمل، فليس عندنا أية استنتاجات أو أدلة يمكن أن نبحث فيها.

المفتش: سوف أرسل لك الزجاج المكسور على كل حال ... فإننا على استعداد للسير خلف أي دليل مهما كانت تفاهته!

وضع «تختخ» السماعة فقالت «نوسة»: أفكِّر أن نأخذ «زنجر» وندخل فيلا الدكتور «عرفان» ثم يقوم «زنجر» بشمِّ أي شيء من ثيابه ثم نُطلقه لعله يصل إليه.

تختخ: إنها فكرة طيبة لو كان الدكتور في مكان قريب من الفيلا، ولكنه بالطبع نُقل بعيدًا، كما أن مرور فترة على اختفاء الدكتور سوف يُضعف من أمل تتبُّع رائحته.

وقضى الأصدقاء الوقت في مناقشات حول اللغز الغامض، وفي المساء أحضر أحد رجال الشرطة كيس الزجاج المكسور إلى «تختخ» الذي جمع الأصدقاء ثم اتجهوا جميعًا إلى غرفة العمليات في منزله، وهي الغرفة التي يضع فيها كل أدوات التنكُّر وغيرها. وعلى المكتب فرشوا ورقة بيضاء كبيرة ثم وضعوا قطع الزجاج عليها، وأحضر «تختخ» أنبوبة من «الأوهو» الذي يلصق الأشياء المكسورة والتفُّوا جميعًا حول الأنبوبة المكسورة.

كان الزجاج دقيقًا وقد تكسَّر إلى عشرات الشظايا الصغيرة وأخذوا جميعًا يُجرِّبون ... هذه القطعة بجوار الأخرى ... وهذه القطعة الصغيرة التي تشبه المثلث يمكن أن تُركَّب على هذه القطعة ... والشرائح الرفيعة تدخل في هذا المكان ...

وبلغت الساعة العاشرة وهم ما زالوا يعملون، ثم انصرف «محب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» وبقي «تختخ» وحده يعمل ويعمل، كان يريد بأي شكل أن يصل إلى طرَف خيطٍ يقوده إلى الجواسيس الثلاثة حتى لو كانت هذه الفكرة البسيطة ... إن أحد الرجال الثلاثة ربما ذهب إلى طبيب ... وبواسطة هذا الطبيب يمكن الوصول إلى الجاسوس ... وقد لا يصلون، ولكن ما دام هناك أمل ولو ضئيلًا فيجب أن يعملوا.

ومرَّت الساعات و«تختخ» يضع قطعة بجوار قطعة ويلصقها ... شيئًا فشيئًا، تكوَّنت الأنبوبة الزجاجية ... عندما انتهى من عمله تمامًا اتضح له أن فكرة «لوزة» كانت صحيحة تمامًا ... لقد كانت هناك قطع كثيرة ناقصة ولا بد أنها دخلت يد أحد الرجال الثلاثة ... لقد أصبح هناك أمل في الوصول إلى شيء.

يوم حافل

في صباح اليوم التالي كان عند المغامرين الخمسة عمل كبير يجب إنجازه ... فيجب أن يبحثوا عن طبيب أتى إليه الجاسوس ليلة الاختطاف، أو صباح اليوم التالي لإخراج شظايا الزجاج من يده.

لقد تأكدوا أن فكرة «لوزة» معقولة ... المهم أن يصلوا إلى شيء.

اتصل «تختخ» بالمفتش «سامي» وأخبره بنتيجة ما قاموا به، وشجَّعهم المفتش «سامي» على الاستمرار، ووعدهم أن يقوم رجال الشرطة — بما لهم من إمكانيات — بمحاولة الوصول إلى الطبيب الذي قد يكون عالج الجاسوس.

لم تكن المهمة سهلة ... ولكن الدكتور «مختار» قريب «عاطف» ساعدهم كما ساعدهم من قبل في لغز «الساق الخشبية»، فقد اتصل بأصدقائه الأطباء في المعادي واحدًا وراء الآخر، وكان اثنان من الأصدقاء — هما «لوزة» و«عاطف» — يجلسان بجواره وهو يتصل تليفونيًّا، لكن هذا البحث لم يصل إلى نتيجة. ومرت الساعات وليس هناك طبيب واحد يقول إنه قد عالج الجاسوس، فقد قالوا جميعًا إنهم لم يعالجوا شخصًا أُصيب في يده بشظايا زجاج، ووضع الدكتور «مختار» سماعة التليفون والتفت إلى «لوزة» و«عاطف» قائلًا: للأسف، إن الدليل الذي تسيرون خلفه لم يؤدِّ لنتيجة. إنني كما تعرفون من هواة حل الألغاز البوليسية، وكنت أتمنى أن أشترك معكم في الحل، ولكن فكرة شظايا الزجاج برغم أنها معقولة ... لن تؤدي إلى نتيجة.

وسكت الدكتور «مختار» قليلًا وهو ينظر في كشف أسماء الأطباء التي وضعها أمامه ثم قال: هناك طبيب واحد هو الدكتور «مكرم» ليس موجودًا في عيادته ... وسيعود بعد ساعة، ولكني للأسف سأخرج الآن لموعد في القاهرة ولن أستطيع انتظاره.

قالت «لوزة» وقد عاودها الأمل: أعطِنا خطابًا له، وسنذهب نحن وننتظره.

الدكتور «مختار»: إنك لا تفقدين الأمل أبدًا!

لوزة: إن هذا هو الأثر الوحيد الذي يمكن أن يؤديَ إلى شيء … ويجب ألا نترك أي أمل دون أن نسير خلفه للنهاية.

عاطف: إنني شخصيًّا غير مقتنع … ولن أذهب إلى الدكتور «مكرم»!

لوزة: قل لي يا دكتور … هل يمكن أن يترك الرجل شظايا الزجاج في يده دون أن يُخرجها؟

الدكتور «مختار»: سيؤدي هذا إلى التهاب كبير في يده، وقد يتلوث بالميكروبات ويؤدي هذا إلى خطورة على حياته.

لوزة: أي إنه يجب أن يخرج هذه الشظايا؟

الدكتور «مختار»: طبعًا، ولا بد من تطهير الجرح وأخذ حقن مضادة للجراثيم وغير ذلك من الاحتياطات … ولا بد أن يتم ذلك بسرعة.

لوزة: إذن لا بد أن يكون هذا الشخص قد لجأ إلى طبيب!

الدكتور «مختار»: نعم، ولكن قد لا يكون هذا الطبيب في المعادي، ربما في القاهرة أو الإسكندرية أو أي مكان آخر … فهناك عشرات الآلاف من الأطباء، ومن الصعب جدًّا أن نصل إلى الطبيب الذي قام بإسعافه.

لوزة: إنني لن أفقد الأمل أبدًا … وسأذهب إلى الدكتور «مكرم».

عاطف: أما أنا فسأعود إلى البيت فورًا.

وخرج الاثنان بعد أن كتب الدكتور «مختار» توصيةً للدكتور «مكرم» ليستمع لـ «لوزة» …

مشت «لوزة» وحدها في الطريق إلى عيادة الدكتور «مكرم» تُقدِّم رِجْلًا وتؤخر رِجْلًا … لقد كان الأمل ضعيفًا جدًّا، والشمس حارقة … وهي عطشَى ومُتعَبة، وعندما جاءت عند مُفتَرق الطرق بين عيادة الدكتور «مكرم» ومنزلهم فكرت أن تعود إلى البيت، ولكن شيئًا في نفسها دفعها إلى الذهاب إلى العيادة.

صعدت السلالم وهي تتصبب عرقًا … وكانت العيادة خاليةً إلا من عجوز مخيف الشكل استقبلها في ضيق قائلًا: الدكتور غير موجود!

قالت «لوزة» في شجاعة: سأنتظره.

الممرض: هل جئتِ وحدك؟ إن الدكتور «مكرم» ليس إخصائي أطفال … ألم يحضُر معكِ شخص كبير؟

لوزة: إني لا أريده أن يكشف عليَّ.

المرض: إذن لماذا جئتِ؟

لوزة: إنني أريد أن أتحدث إليه قليلًا.

قال الممرض في ضيق: تتحدثين معه؟! في أي شيء؟

ارتبكت «لوزة» وبدأت تقف، ولكن جرس التليفون دقَّ في هذه اللحظة وأسرع الممرض إلى جهاز التليفون ليتحدث ... ووجدتها «لوزة» فرصة للفرار فوقفت وبدأت تتقدم إلى الباب. وفي هذه اللحظة حدث ما لم يكن في الحسبان ... فقد دخل شخص إلى العيادة في هدوء وحذر ... كان أجنبيَّ المنظر ... كبير الرأس بالنسبة إلى جسمه ... وكانت يده مربوطة بالشاش.

أُصيبت «لوزة» بدهشة بالغة ... وأخذت تنظر إلى الرجل وكأنها ترى مخلوقًا قد أتى من القمر ... إن هذا الرجل بالتأكيد أحد الجواسيس الثلاثة الذين خطفوا الدكتور «عرفان». إنها تذكر جيدًا حديث المفتش «سامي» ووصْفَه للرجال الثلاثة ... من المؤكد أن هذا الرجل هو المصاب في يده الذي تبحث عنه.

وخرج الممرض من غرفة الطبيب، وقال في خشونة موجهًا حديثه إلى «لوزة»: إن الدكتور «مكرم» ... لن يحضر اليوم ... فقد جاءته عملية جراحية عاجلة ولن يستطيع الحضور.

وتقدَّم الممرض يرحِّب بالرجل الغريب ثم دخل به إلى غرفة الكشف ... وكانت «لوزة» تدرك أن المغامرة كلها متوقفة على ما تفعله في اللحظات التالية ... ماذا يجب أن تفعله بالضبط؟ نزلت السلالم مسرعة إلى الشارع، وجدت سيارة تاكسي تقف أمام باب العيادة، كانت إشارة العداد تدل على أن التاكسي في الانتظار ... وقالت «لوزة» في نفسها: إن هذا التاكسي لا بد في انتظار الرجل الغريب ... ماذا تفعل الآن؟ وأخذت تنظر حولها في حيرة ... لو كان هناك تليفون قريب لتحدثت إلى الأصدقاء ولكن الشارع كان خاليًا من المحلات تمامًا. هل تستطيع الاختفاء داخل شنطة التاكسي ومعرفة مكان الرجل؟ إن السائق يقف بجانب التاكسي فلا تستطيع ذلك ... ماذا تفعل؟ إن المصادفة الطيِّبة وضعتها أمام الرجل الذي تبحث عنه، ولكنها لا تستطيع التصرف ...

كان ذهنها يعمل بسرعة ... ولكن دون أن تعثر على حل معقول ... ثم قررت أن تحفظ رقم التاكسي، إنه على كل حال شيء خيرٌ من لا شيء ... أخذت تحفظ الرقم «٦٢١١» أجرة القاهرة ... وكررت الرقم في ذهنها بضع مرات «٦٢١١» أجرة القاهرة، وكان سائق التاكسي قد لاحظ وقوفها الطويل وأخذ ينظر إليها نظرات مريبة، ووجدت أنه لا فائدة من الانتظار، فانطلقت مسرعة في الشوارع تجري إلى المنزل ...

عندما وصلت «لوزة» إلى منزلها كان الأصدقاء يجلسون معًا يقطعون الوقت باللعب والحديث، فلم تكد تدخل ويرون آثار التعب والإرهاق على وجهها حتى أدركوا أن وراء «لوزة» أخبارًا هامة.

لم تجلس «لوزة»، ولكنها قالت بصوت مرتجف وأنفاسها تتلاحق: انطلقوا بالدراجات بسرعة إلى شارع ٨٥ أمام عيادة الدكتور «مكرم» رقم ١٩ قد تجدون تاكسي أجرة القاهرة رقم «٦٢١١» فيه أحد الجواسيس الثلاثة، أسرعوا … إنه الرجل المصاب في يده … ذو الرأس الكبير.

قفز «تختخ» و«محب» و«عاطف» إلى دراجاتهم بسرعة البرق، وانطلقوا كالعاصفة إلى الشارع رقم ٨٥ وهم جميعًا يرددون في أذهانهم الأرقام التي قالتها «لوزة» … شارع رقم ٨٥ رقم ١٩، سيارة رقم «٦٢١١».

أما «لوزة» فجلست بجوار «نوسة» … التي أسرعت تُحضر لها كوب ماء وأخذت «لوزة» تهدأ تدريجيًّا وتروي ما حدث في عيادة الدكتور «مكرم» لـ «نوسة» التي استمعت إليها في اهتمام شديد.

في الطريق انقسم الأصدقاء الثلاثة إلى قسمين «تختخ» في ناحية و«محب» و«عاطف» في ناحية أخرى، وقد اتفقوا على أن يدخلوا الشارع رقم ٨٥ من طرَفين لمحاصرة السيارة التاكسي إذا كانت موجودة.

ووصلوا بعد نحو خمس دقائق إلى الشارع … ولكن الطير كان قد أفلت … فلم تكن هناك سيارة تاكسي أمام العيادة … قال «تختخ» لـ «محب» و«عاطف»: انطلقا أنتما في الشوارع المجاورة، فقد تعثران على التاكسي، أما أنا فسوف أصعد إلى العيادة، فلي حديث مع من فيها.

عاود الصديقان «محب» و«عاطف» الجري بالدراجتين، أما «تختخ» فقد ترك دراجته أمام العيادة بعد أن أغلق قفلها ثم صعد إلى فوق.

كان الممرض ذو السَّحنة المخيفة يجلس وحده، وعندما شاهد «تختخ» عاجله بالسؤال: ماذا تريد؟

قال «تختخ»: إنني أبحث عن شخص مجروح اليد كان هنا منذ دقائق.

الممرض: ولماذا تبحث عنه؟

تختخ: أريد أن أتحدث إليه.

الممرض: لقد خرج منذ فترة … ولكن لماذا تريد الحديث إليه؟

تختخ: هذه المسألة لا تهمك.

قال الممرض بلهجة مُنذِرة: هل تتحرَّش بي؟ ما معنى أنها لا تهمُّني؟

تختخ: لا تهمُّك فعلًا.

الممرض: إذن اخرج من هنا فورًا.

تحرك «تختخ» ناحية الباب ثم التفت إلى الممرض قائلًا: سأخرج الآن ولكن سوف أعود، وسأجعلك تتكلم كما أريد.

وقبل أن يجيب الممرض كان «تختخ» قد خرج ونزل السلالم مسرعًا، ثم قفز إلى دراجته وانطلق في شوارع المعادي الساكنة ينظر حوله لعله يرى التاكسي ... ولكنه كان يعرف أنه أمل واحد في المليون أن يجد التاكسي الآن، ففضَّل أن يتجه إلى حديقة منزل «عاطف» ليقابل «لوزة» ويستمع إلى قصتها كاملة ... وخاصة أن المساء كان قد هبط.

عندما وصل «تختخ» إلى الحديقة وجد «عاطف» و«محب» قد سبقاه إلى هناك، ولم يكد يدخل حتى سمع «محب» يصيح: لقد عثرنا على التاكسي يا «تختخ» ...

دقَّ قلب «تختخ» سريعًا؛ فقد كثرت الأخبار الهامة ويبدو أنهم في الطريق الصحيح، فقال: وهل عرفتم أين ذهب الرجل؟

محب: عرفنا المنطقة التي نزل فيها ولكن السائق لم يعرف عنوان المنزل بالضبط.

تختخ: وأين نزل؟

محب: قرب الاستاد الرياضي في آخر المعادي.

تختخ: في إمكاننا أن نعثر عليه وخاصة إذا أخطرنا المفتش «سامي».

وأسرع «عاطف» يحضر التليفون لـ «تختخ» الذي أدار القرص ثم طلب المفتش «سامي» وأخبره بالمعلومات الهامة التي وصلوا إليها، ولكن المفتش «سامي» قال له جملة واحدة جعلت سماعة التليفون تسقط من يده.

المفاجأة الكبرى

كانت جملة المفتش «سامي» مفاجأةً حقًّا، فقد عاد الدكتور «عرفان»! ظهر فجأةً أمام منزله في المعادي بعد أن تغيَّب خمسةَ أيام، وهكذا انتهت مهمة المغامرين الخمسة قبل أن تبدأ … ولم يَعُد هناك لغز!

وعندما قال «تختخ» للأصدقاء ما قاله المفتش «سامي» في التليفون أدركوا أن اللغز قد طار من بين أيديهم … ثم وضع «تختخ» سماعة التليفون على أذنه وعاود الاستماع … قال المفتش «سامي»: لقد عاد الدكتور «عرفان» منذ دقائق قليلة. بمجرد أن هبط الظلام، أنزلته سيارة في أول الشارع مُغلَق العينين، وعندما نزع العصابة عن عينيه وجد نفسه في الشارع الذي يسكن به، فاتجه إلى مسكنه وأبلغني الحارس المعين هناك.

تختخ: لقد عثرنا على أحد الخاطفين.

المفتش: متى؟

تختخ: منذ ساعة تقريبًا.

المفتش: مستحيل … فالثلاثة الذين خطفوا الدكتور «عرفان» ليسوا في القاهرة، ولا في مصر كلها … إنهم في إنجلترا على الأرجح.

تختخ: غير معقول.

المفتش: لقد تحدثت مع الدكتور «عرفان» وأخبرني بسرعة أنه خُطِفَ ونُقلَ إلى خارج مصر بالطائرة وأُعيدَ إليها بالطائرة … ولا أدري كيف أمكن أن يمر في المطار دون أن يلفت نظر رجال الشرطة هناك!

تختخ: قصة مدهشة للغاية!

المفتش: فعلًا … وسأنزل فورًا لمقابلة الدكتور «عرفان» في المعادي ويمكن أن تقابلَني هناك بعد نصف ساعة لنستمع إلى القصة كاملة، فهناك عشرات التفاصيل التي يهمُّني أن أسمعها.

تختخ: وهذا الرجل الذي شاهدتْه «لوزة» اليوم مجروح اليد؟!

المفتش: من الممكن أن يوجد عشرات الأشخاص مجروحي اليد، وليس كل واحد جُرِح يدُه لا بد أن يكون جاسوسًا.

تختخ: إذن نلتقي بمنزل الدكتور «عرفان».

المفتش: أرجو أن تأتيَ وحدك فالمسألة في غاية السرية، وبعد ذلك تستطيع أن ترويَ للأصدقاء القصة كاملة بعد أن نستوفيَ التحقيقات عن هذا الاختطاف العجيب.

وضع «تختخ» السماعة وروى للأصدقاء بسرعة ما سمِعه، وطلب منهم كتمانه، ثم التفت إلى «لوزة» قائلًا: آسف جدًّا يا «لوزة»، إن استنتاجك كان معقولًا ولكن للأسف، فالجاسوس المجروح اليد خرج من مصر في نفس يوم الاختطاف، والرجل الذي شاهدتِه في عيادة الدكتور «مكرم» قد يشبه أحد الجواسيس ولكنه ليس أحدهم بالتأكيد.

وسكت الأصدقاء جميعًا وأخذوا ينظرون إلى «لوزة» في إشفاق، ونَكَّست المغامِرة الصغيرة رأسَها وكادت الدموع تفرُّ من عينيها، فقال «عاطف»: أقترح يا «لوزة» أن تستمرِّي في متابعة الرجل الجريح، فقد يكون قد جرَحَ يدَه وهو يقطع بطيخة … ثم تقبضين على البطيخة بتهمة الاعتداء على الرجل.

ولم يبتسم أحد للنكتة، فقد كانوا جميعًا يعرفون مدى حساسية «لوزة» التي لم تكن تطيق أن تخسر لغزًا بهذه البساطة.

وبعد دقائق انصرف «محب» و«نوسة» إلى منزلهما وانطلق «تختخ» على دراجته إلى فيلا الدكتور «عرفان» فوصل قبل أن يصل المفتش بثوانٍ قليلة، ثم ظهرت سيارة المفتش السوداء الكبيرة ونزل منها نشيطًا كعادته، فسلَّم «تختخ» عليه ثم دخل الاثنان الفيلا.

كان الدكتور «عرفان» يجلس وحيدًا في غرفة المكتب يمسك قدحًا من القهوة، فلم يكد يرى المفتش حتى وقف مُسَلِّمًا وقدَّم له المفتش «تختخ» قائلًا: هذا صديقي «توفيق» … إنه من هواة حل الألغاز هو وأصدقاؤه، وقد دعوته ليستمع إلى قصتك إذا لم يكن عندك مانع.

أشار الدكتور «عرفان» لهما بالجلوس قائلًا: أبدًا، يسعدني أن أجد ولدًا في مثل سنه يشترك في حل المشاكل العويصة.

قال المفتش: إني أعرف أنك مرهق بعد رحلة الطائرة، ولكن من المهم جدًّا أن أستمع إلى قصتك كاملة وبأسرع وقت ممكن … ولعلني قبل أن أستمع إلى القصة يهمني أن أسألك هل حصل الجواسيس على معلومات هامة منك؟

ابتسم الدكتور «عرفان» قائلًا: لم يحصلوا على شيء له أهمية مطلقًا، فقد تظاهرت أن صدمة الاختطاف والتخدير قد أثَّرت على أعصابي، وأنني لا أتذكَّر شيئًا وظلوا يحاولون معي دون جدوى.

كان الدكتور «عرفان» في حالة صحية طيبة ولا تبدو عليه آثار الإجهاد كما يحدث دائمًا بعد رحلات الطائرة، فأعجب «تختخ» جدًّا وأخد ينظر إليه في احترام وهو يستعد لسماع قصته.

قال الدكتور: اعتدت أن أستقبل هنا ضيوفًا من جميع أنحاء العالم، كما أني سافرتُ كثيرًا إلى الخارج وتعرَّفتُ بكثير من العلماء والأصدقاء الذين يحضرون لزيارتي كلما جاءوا إلى بلادنا … والمعتاد طبعًا أن يحدد الزائر موعدًا للزيارة قبل أن يحضر حتى أعدَّ نفسي لاستقباله … وقد اتصل بي فعلًا أحد الرجال الثلاثة تليفونيًّا وقال إنه صديق لأحد العلماء من إنجلترا … وهذا العالم صديقي، وطلب الرجل مقابلتي في اليوم نفسه لأنه مسافر في اليوم التالي.

وهزَّ الدكتور «عرفان» رأسه ثم مضى يقول: وحددت موعدًا له في الساعة الخامسة مساءً، ولكنه رجاني أن أجعل الموعد في العاشرة لأنه سيكون مشغولًا حتى ذلك الموعد … وتقديرًا لظروف سفره كما زعم، وافقت وانتظرته، وفي العاشرة تمامًا أخبرني «موسى» بحضور ثلاثة ضيوف برغم أنني كنت أنتظر واحدًا فقط، ولكن ذلك لم يُثِرْ رِيبتي فلعلَّ معه بعضَ أصدقائه، وقمت لمقابلتهم عند باب الفيلا ورحَّبت بهم كعادتنا في الترحيب بالضيوف.

وجلسوا، وبدأت الحديث، وطلبت من «موسى» أن يُعدَّ لهم بعض المشروبات، فذهب إلى المطبخ وقمت لإحضار عُلبة السجائر من مكتبي واستدرت وأعطيت لهم ظهري، وفجأة وجدت يدًا تمتد فتُغلق فمي، وأحسست بمن يُقيِّد يدي خلفي ثم أحسست بحقنة في ذراعي، وفي لحظات كان رأسي يدور فحملني رجلان إلى مقعد على حين خرج الثالث.

قاطعه المفتش سائلًا: ماذا كنت تلبس في تلك الأثناء.

ردَّ الدكتور «عرفان»: كنت ألبس قميصًا خفيفًا بنصف كُم، وبنطلونًا وحذاء خفيفًا، فقد كانت الليلة شديدة الحرارة.

وسكت «عرفان» لحظات ثم مضى يروي بقية القصة: كان واضحًا أنهم حقنوني بمخدِّر، ولكنه لم يكن قويًّا فقد كنت أعي ما يدور حولي، برغم أنني تحت تأثير المخدر، أغلقت عيني وظلِلْتُ أدري بما يدور حولي ولكن دون أن أرى … وبعد دقائقَ قليلة حملني الرجال الثلاثة إلى سيارة كانت تقف بالباب ولاحظتُ — برغم تأثير المخدِّر — أنهم يسيرون بي وأنا واقف حتى لا يلفتوا الأنظار إلى أنني محمول إلى السيارة. ولحسن حظهم لم يلحظ أحد شيئًا، وخاصة وأنا كما ترى أسكن في مكان بعيد عن الشوارع المزدحمة.

عاد المفتش يسأل: هل كان الثلاثة أجانب فعلًا؟

الدكتور «عرفان»: قطعًا إنهم أجانب وقد كانوا يتحدثون بلغة إنجليزية سليمة، ولكني لاحظت منذ أول لحظة أنهم قضَوْا فترة طويلة في بلادنا؛ فقد كانت الشمس واضحة على وجوههم كأنهم كانوا في مصيف أو شيء من هذا القبيل.

وفكر «عرفان» لحظات ثم أكمل: وسارت السيارة ولا أدري كم سارت لأن المخدِّر عادة يُفقِد الإنسانَ القدرةَ على حساب الزمن والمسافات، ولكني كنت أشعر بما يدور حولي، واستطعت سماع بعض كلمات مثل المطار … والطائرة … ومسافة الرحلة والمشاكل التي قد يتعرضون لها.

وابتسم الدكتور «عرفان» وقال: وفكرت أنهم سوف يقعون حتمًا إذا دخلوا بي في هذه الحالة مطار القاهرة؛ فلا بد أن منظري سيلفت أنظار رجال الشرطة، ثم وجدت نفسي أُرفع على سُلَّم مرتفع من الحديد في الغالب إلى باب، ثم دخلت من هذا الباب حيث جلستُ في كرسيٍّ ضيق، وربط أحدهم الحزام حول وسطي كما يحدث قبل الطيران، ثم سمعت ضجيج الركاب وسمعت مضيفة الطائرة تُعلن قرب قيامها وتطلب ربط الأحزمة، ثم دارت المحركات وبدأت الطائرة تهتزُّ على أرض المطار، وكان تأثير المخدِّر قد بدأ يخف، فحاولت فتْحَ عيني ولكنهم حقنوني مرة أخرى وكان المخدِّر في هذه المرة قويًّا؛ فذهبت في غيبوبة تامة.

قال المفتش: هل كان معك جواز السفر الخاص بك؟

عرفان: لا، ولكن لعلهم أخذوه من الفيلا قبل أن يغادروها، فقد كان موضوعًا على المكتب بالمصادفة لأنني كنت قد عدت منذ أيام من سفر بالخارج.

وقام الدكتور «عرفان» إلى مكتبه ثم عاد يمسك بجواز السفر وعلى وجهه علامات التعجب قائلًا: من المدهش أنهم لم يأخذوا جواز السفر.

قال المفتش «سامي»: على كل حال، مثل هؤلاء الجواسيس يمكنهم تزوير جواز سفر ببساطة، ولعلهم كانوا قد استعدوا بجواز سفر مزور.

تحدث «تختخ» لأول مرة فسأل: وهل كان جواز السفر واضحًا أمامهم ويمكنهم رؤيته على المكتب؟

ردَّ الدكتور «عرفان»: بالتأكيد، فقد كان موضوعًا في وسط المكتب تمامًا! وانتظر الدكتور «عرفان» أسئلة أخرى، ولكن المفتش رجاه أن يستمر فقال: وظِلِلْتُ في غيبوبة حتى استيقظت، وكان الصداع يفتك برأسي فأحضروا لي بعض حبوب الأسبرين وكوبًا من الشاي، ثم أحضروا لي طعامًا وجلسوا حولي ينظرون إليَّ وهم يبتسمون ابتسامةَ المنتصر ... وبعد أن أكلتُ قالوا لي إنهم سيطلبون مني الإجابة عن بعض الأسئلة، وإعداد تجربة كيميائية في معمل ونصحوني أن أستمع إليهم وأن أجيب عن أسئلتهم بدلًا من استخدام وسائل العنف معي.

وأخذ الدكتور «عرفان» يهزُّ رأسه لحظات، ثم مضى يقول: ولكنهم لم يستطيعوا الحصول مني على أية أجوبة كما أنني رفضت دخول المعمل على الإطلاق.

أسئلة وأجوبة

كان المفتش «سامي» يُدوِّن الأقوال التي يُدلي بها الدكتور «عرفان» فسأله: هل اتصل بك أو قابلك أشخاص آخرون غير الثلاثة الذين اختطفوك؟

عرفان: لا ... الثلاثة فقط ... وكان أحدهم يتولى خدمتي وكنت أحيانًا أسمع صوتًا نسائيًّا في الصالة الخارجية، ولكني لم أرَ سوى الرجال الثلاثة.

تختخ: ألم تخرج يا دكتور من الغرفة التي دخلت فيها منذ اختطفت حتى عدت؟

الدكتور: مطلقًا، وقد كانت كل مستلزمات الحياة موجودة فيها، ولم أكن أرى سوى حديقة من نافذة غرفتي، وعندما كان المطر يتساقط كنت أقف خلف الزجاج أراقب المطر وأتذكر عندما كنت أدرس في إنجلترا، وقد كانوا يسمحون لي بتسلية وحيدة وهي الراديو، ولكنهم لم يكونوا يسمحون لي بتغيير المحطات، فكنت أستمع إلى محطة الـ «ب. ب. س» فقط؛ أي المحطة التي تُذيع من لندن.

المفتش: هل تستطيع استنتاج أي بلد كنت فيه؟

الدكتور: في «إنجلترا» في الغالب فقد عشت هناك فترة طويلة وأستطيع معرفة جوِّها المتقلب، فالشمس تظهر ثم تختفي في لحظات، ويتساقط المطر غزيرًا ثم يتوقف، وكنت كما قلت لكم أستمع إلى محطة الإذاعة البريطانية ... وكنت أقرأ صُحُفًا إنجليزية، وإن كنت لاحظت أنها كانت تأتي متأخرة عن موعدها قليلًا، وكنت أتناول طعامًا إنجليزيًّا طَوال الوقت مما يؤكد لي أنني كنت في إنجلترا.

المفتش: ألم يستجوبك أحد من رجال المخابرات أو المباحث الإنجليزية؟

الدكتور: مطلقًا ... هؤلاء الثلاثة فقط، واحد منهم يقوم بالخدمة اسمه «جونز»، والثاني يقوم بعمليات الحراسة ويُدعى «جيفري»، والثالث عالم واسمه «كروسمان» وهو الذي كان يناقشني في المعادلات التي وصلت إليها، ويحاول الحصول على المعلومات مني،

ولكني طبعًا لم أقل له شيئًا مفيدًا، وبعد أربعة أيام من المحاولات فقدوا الأمل في الحصول على أية معلومات مني، كما أنهم لم يجدوا في منزلي أية أوراق هامة، فإنني أحتفظ بأوراقي الهامة في مكتبي بمركز الأبحاث، والغرفة تُغلَق جيدًا وعليها حراسة. وذات يوم دخل الثلاثة وقالوا إنهم سوف يُعيدونني إلى مصر مرة أخرى، ثم أخذوا يتحدثون عن الصعوبات التي قد تقع وطلبوا مني أن أكون هادئًا وألا أتحدث مطلقًا وإلا قتلوني، فوعدتهم بذلك ولكنهم حقنوني بالمخدِّر مرة أخرى، ثم ركبتُ الطائرة وعدت إلى مصر ... ونُقلت في سيارة إلى حيث أفقتُ ووجدت نفسي في الشارع قرب منزلي.

المفتش: إن هذا من أغرب الحوادث التي مرت بي في حياتي. إن اختطافهم لك تمَّ ببساطة شديدة وهو ما لا يمكن حدوثه دون أن يحس أحد، ولكن نقلهم لك بالطائرة إلى خارج البلاد ثم إعادتهم لك دون أن ندري، فهذه قضية مثيرة، وسيتعرَّض كثيرون من رجال الشرطة في المطار إلى حساب عسير.

تختخ: لعلهم نقلوه في طائرة خاصة!

المفتش: هذا أيضًا غير ممكن، فليس من السهل أن تطير طائرة في سماء بلادنا دون إذن وأن تنزل إلى مطار ... وفي كل المطارات حراسة شديدة وتفتيش، كما أن الدكتور «عرفان» أوضح أنه كان يستمع إلى ضجة المسافرين برغم أنه كان تحت تأثير المخدر.

تختخ: إنها قصة عجيبة حقًّا!

المفتش: غاية الغرابة والعجب، ولولا أنني أثق في كلام الدكتور طبعًا لقلت إنها قصة خيالية!

ابتسم الدكتور وهو يقول: للأسف إنها ليست خيالية مطلقًا ولكنها واقعية تمامًا، وقد وصفت لكما وصفًا دقيقًا كلَّ ما مرَّ بي من أحداث، وأنا على استعداد للإجابة عن أية أسئلة تُوجَّه لي.

قال المفتش وهو يقف: ليس هذه الليلة، على كل حال أنت متعب وسوف أرفع تقريرًا عن الحادث كله إلى الجهات المسئولة، وسندرس الواقعة من جميع أطرافها، وبالطبع سوف نسألك مرة أخرى.

وقف «تختخ» مع المفتش، وبعد أن تبادل الثلاثة التحية غادروا فيلا الدكتور «عرفان» ولاحظ «تختخ» أنها محاطة بحراسة قوية، وركبا معًا السيارة دون أن يتبادلا كلمة واحدة، فقد كان كلٌّ منهما مستغرِقًا في خواطره، وأوصل المفتش «تختخ» بالسيارة إلى منزله وتبادلا التحية وانطلق المفتش، وصعد «تختخ» إلى غرفته حيث خلع ثيابه وتناول عشاء خفيفًا، ثم

جلس بجوار النافذة يستمتع بهواء الليل البارد وروائح الورد المتصاعد من الحديقة، وقد غرق في تفكير عميق حول قصة اختطاف الدكتور «عرفان» وكيف استطاع الجواسيس الثلاثة أن يختطفوا الدكتور «عرفان» ويخرجوا به من مصر، ثم يعودوا به دون أن ينتبه رجال الشرطة الذين في المطار إلى شخصيته أو يلفت أنظارهم أنه واقع تحت تأثير مخدر قوي.

وتقدم الليل وقام «تختخ» لينام وما تزال قصة الدكتور «عرفان» تدور بخاطره.

في صباح اليوم التالي اجتمع المغامرون الخمسة والكلب «زنجر» في حديقة منزل «تختخ»، فقد كان في انتظار حضور جَدِّه من القاهرة، ولم يكن يستطيع مغادرة البيت والذهاب بعيدًا.

وروى «تختخ» القصة كما سمعها من الدكتور «عرفان» وطلب من الأصدقاء ألا يرووها لأحد لأنها ما تزال سرًّا من أسرار رجال الشرطة، وبدأ الأصدقاء يتسابقون في الاستنتاجات ... كيف تم نقل الدكتور «عرفان» إلى الطائرة؟ وكيف طارت به إلى الخارج ثم عاد دون أن يدريَ رجال الشرطة؟!

قال «محب»: أعتقد أنهم قاموا بإجراء تنكُّر له ... وقد يكونون قد وضعوا على وجهه قناعًا من البلاستيك، فهنالك أدوات تنكُّر حديثة يمكن أن تحوِّله إلى شخص آخر.

وقالت «نوسة»: أعتقد أنهم قالوا لرجال المطار إنه مريض، وخاصة وهو واقع تحت تأثير المخدِّرات وشكله غير عادي، وبالطبع فقد قدَّر رجال الشرطة والجمارك هذا السبب ولم يحقِّقوا كثيرًا في شخصيته.

وقال «عاطف»: على كل حال، ما دام الدكتور «عرفان» قد عاد وبدون أن يحصل منه الجواسيس على معلومات هامة فلماذا نُوجِع رءوسنا بهذه المشكلة؟ ... وماذا يهمنا أن نعرف كيف ركب الطائرة؟ ... وكيف عاد بالطائرة؟ ... بصراحة إنني بدأت أملُّ ثرثرتكم هذه حول «عرفان» وخَطْفه ... فدعونا نجد شيئًا آخر نفعله.

وهزَّ «تختخ» رأسه ولم يقلْ شيئًا ... فالتفتوا جميعًا إلى «لوزة» ... ينتظرون تعليقها ... ولكن «لوزة» لم تتحدث، لقد تركتهم وخرجت دون أن تنطق بكلمة واحدة، ثم ركبت دراجتها وانطلقت، ونظر «زنجر» إلى الأصدقاء فوجدهم جميعًا يجلسون وكان في حاجة إلى نزهة، وهكذا انطلق هو الآخر خلف «لوزة» وابتعدا معًا عن بقية الأصدقاء.

كانت «لوزة» تفكر وهي تسير في الشوارع ... لقد كان في قصة الدكتور «عرفان» نقاط كثيرة تريد أن تسأل عنها، وكانت تشعر شعورًا غامضًا أن هناك لغزًا أكبر من مجرد

لغز ركوب الطائرة والعودة دون أن يدرك رجال الشرطة والجمارك ... وتذكرت الرجل الأجنبي الذي شاهدته في مستشفى الدكتور «مكرم» ورقم التاكسي هل كان «٦١٢١» أو «١١٢٦» أو «٢١١٦» أو «٦١١٢» أو «٦٢١١»؟ لقد نسيَتْ أن تدوِّن الرقم وتذكرت أن «محب» استطاع أن يعثر على التاكسي الذي كان يقف أمام عيادة الدكتور «مكرم» وأن السائق تذكر أنه أنزل الراكب قُرب استاد المعادي، وإنْ كان لا يتذكر المنزل الذي نزل أمامه.

وقررت «لوزة» أن تذهب إلى هذا المكان مرة أخرى ... لقد كان ثمة شيء يجذبها إلى هناك ... و«زنجر» خلفها يجري وقد أحس أنه أخطأ بالخروج في هذا الجو الحار إلى الشارع وفكر في أن يعود ... ولكنه استمر يمشي خلف «لوزة» برغم حرارة الجو والأرض اللاسعة.

وصلت «لوزة» إلى قرب الاستاد واختارت شجرة من أشجار الكافور العالية التي تحيط بالاستاد وجلست تحتها، وانضم «زنجر» إليها وهو سعيد أن وجد ظلًّا يأوي إليه.

كانت «لوزة» ترتِّب أفكارها وهي جالسة وحدها تربِّت على شعر «زنجر» ... لقد شاهدت الرجل ذا الرأس الكبير أمس صباحًا، ولكن الدكتور «عرفان» يقول إن الطائرة وصلت بعد الظهر وإنه وصل منزله ليلًا، ومعنى ذلك أن الرجل الذي شاهدته في عيادة الدكتور «مكرم»، الرجل ذا الرأس الكبير، لم يكن هو الجاسوس الذي جُرح يده؛ لأن الآخر كان في تلك اللحظة في الطائرة.

وفجأة خطر لها سؤال هام ... إذا كان الجواسيس قد خطفوا الدكتور «عرفان» إلى الخارج دون أن يتعرضوا لأية مخاطر، فلماذا أعادوه وعرَّضوا أنفسهم للخطر؟ هل «عرفان» الذي عاد إلى منزله ليس هو الدكتور «عرفان» الأصلي؟ هل هو شخص مزيف أراد دخول المنزل برغم الحراسة وبطريقة واضحة ليحصل على أوراق هامة ... وأراد أن يموِّه على المفتش «سامي» فقال إن أوراقه الهامة في مكتبه بمركز الأبحاث؟

وإذا كان «عرفان» الذي عاد هو الدكتور «عرفان» فعلًا، وإذا كان الجواسيس قد قرروا لأي سبب أن يعيدوه إلى القاهرة فلماذا عادوا معه؟

إن هناك أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات واضحة ... قررت أن تنقُل هذه التساؤلات إلى «تختخ» وبأسرع وقت ممكن، وهكذا قفزت إلى دراجتها وانطلقت مسرعة ... كانت الأرض بجوار الاستاد منحدرة فنزلت الدراجة بسرعة شديدة فلم تستطع «لوزة» أن تسيطر عليها عندما وجدت في طريقها سيدة تحمل سلة خضار وتمشي في اتجاهها ... ووجدت الدراجة

تتجه إليها مسرعة فحاولت بكل ما تملك من قوة أن تسيطر على الدراجة، وقد استطاعت فعلًا أن تتجنب صدامًا مروِّعًا كاد يحدث، ولكنها اصطدمت بجانب السيدة فوقعت السلة التي بها الخضار، ثم استخدمت الفرامل بقوة ونزلت مسرعة تعتذر للسيدة التي وقفت تجمع ما وقع منها من خَضْراوات ... وانحنت «لوزة» تجمع الخضار معها ... وأخذت تعتذر كلما وجدت رأسًا من البنجر أو حبَّة من حبَّات الطماطم.

وقَبِلت السيدة الاعتذار، وجمعا الخضار كله ثم عاودت «لوزة» ركوب دراجتها وانطلقت جارية وقد ركزت انتباهها في الطريق حتى لا تصطدم مرة أخرى بشخص آخر.

«لوزة» و«نوسة»

عندما عادت «لوزة» بأسئلتها وأفكارها إلى حيث كان الأصدقاء وجدتهم قد انصرفوا ما عدا «تختخ» الذي ما زال يجلس في الحديقة في انتظار موعد زيارة جَدِّه حيث يذهب لاستقباله في محطة السكة الحديد.

جلست «لوزة» واستلقى «زنجر» تحت قدميها على الحشيش الأخضر، وبعد لحظات قالت: اسمع يا «تختخ» إنني أحس أن قصة الدكتور «عرفان» فيها أشياء كثيرة غير واضحة أو غير معقولة.

ردَّ تختخ: وأنا أيضًا.

لوزة: هل في ذهنك أسئلة كما في ذهني؟

تختخ: طبعًا ... ولكن ما هي أسئلتك يا «لوزة»؟

لوزة: مثلًا، إذا كان الجواسيس قد خطفوا الدكتور «عرفان» وأخذوه إلى الخارج فلماذا أعادوه وعرَّضوا أنفسهم لمخاطر اكتشافهم عند عودتهم؟

تختخ: سؤال معقول جدًّا.

لوزة: وهل الدكتور «عرفان» الموجود حاليًّا هو الدكتور «عرفان» الأصلي؟

تختخ: هل تقصدين أن الرجل الذي قابلتُه مع المفتش «سامي» ليس هو الدكتور «عرفان» الحقيقي؟

لوزة: هذا ما يُخَيَّل لي.

تختخ: ولماذا يعرض نفسه لمخاطر الاكتشاف؟

لوزة: لعل الجواسيس يريدون الحصول على أوراق من عند الدكتور «عرفان»، وعندما وجدوا أن المنزل عليه حراسة جيدة فقد فضَّلوا أن يَلجئوا للحيلة ويدسُّوا شخصًا مزيَّفًا باسم الدكتور «عرفان» على حين أن الدكتور «عرفان» الأصلي ما زال خارج البلاد.

تختخ: هذا أيضًا معقول.

لوزة: ثم هناك ذلك الشخص المجروح اليد الكبير الرأس الذي شاهدتُه أمس صباحًا في عيادة الدكتور «مكرم» ... وإني أحس أنه أحد أعضاء عصابة الجواسيس، فكيف يكون في العيادة في ذلك الوقت في حين يقول الدكتور «عرفان» إنه كان في هذه اللحظة في الطائرة؟

تختخ: سأنقُل شكوكَكِ إلى المفتش «سامي» لأنني مشغول اليوم باستقبال جَدِّي ولن أستطيع المشاركة في أية أبحاث.

ودخلا معًا الفيلا واتصل «تختخ» بالمفتش «سامي» وأنصت المفتش إلى كل ما قاله «تختخ»، ثم قال: هناك أسئلة معقولة مثل: لماذا عاد الجواسيس؟ ولكن الإجابة سهلة، فلعل عندهم عملًا آخر سوف يقومون به في مصر، أما الرجل المجروح فإن إحساس «لوزة» أنه أحد الجواسيس لا يكفي لإثبات الحقيقة، أما الدكتور «عرفان» الذي قابلناه فليس شخصًا مزيفًا. إنه الدكتور «عرفان» الحقيقي لأنني أعرفه.

قال «تختخ»: هل نكفُّ إذن عن البحث؟

المفتش: لا لا مطلقًا، فعندنا واجب القبض على أفراد عصابة الجواسيس.

وانتهت المكالمة ونقل «تختخ» لـ «لوزة» وجهة نظر المفتش ثم نظر في ساعته وقال: سأذهب الآن لاستقبال جَدِّي على محطة القطار ... هل تأتين معي؟

لوزة: لا ... سأعود إلى البيت، فإنني متعبة وسوف أمر في المساء.

انطلقت «لوزة» عائدة وجلس «تختخ» لحظات ثم وقف قائلًا لـ «زنجر»: هيا بنا إلى المحطة.

وانطلق «تختخ» وخلفه كلبه الذكي، أما «لوزة» فركبت دراجتها واتجهت إلى منزل «نوسة» فوجدتها في الحديقة تقرأ كتابًا، واستقبلتها «نوسة» قائلةً: أهلًا بالمغامِرة الصغيرة ... ماذا وراءك؟

قالت «لوزة» متنهدة: إن المفتش «سامي» و«تختخ»، بل أنتم جميعًا، مقتنعون أن لغز الدكتور «عرفان» قد انتهى، وأن المشكلة فقط هي القبض على العصابة، وهو عمل يتولاه رجال الشرطة ... أما أنا فأحس أن اللغز لم يُحَلَّ بعد. إنني أشعر أن عندي فكرة لو جمعنا منها المعلومات الكافية فستتكشَّف عن لغز أكبر.

نوسة: وهل أستطيع أن أساعدك؟

لوزة: نعم، أريد أن تأتيَ معي إلى عيادة الدكتور «مكرم»؛ فإني أريد أن أتأكد من شخصية الرجل ذي الرأس الكبير. إنه أحد الجواسيس الثلاثة وأنا متأكدة أنه هو نفسه

الذي كان في العيادة أمس، على حين يقول الدكتور «عرفان» إنه كان في الوقت نفسه موجودًا في الطائرة.

نوسة: وهل إثبات وجوده في العيادة يكشف لكِ شيئًا؟

لوزة: نعم ... سوف يوجِّه أبحاثنا واستنتاجاتنا وجهةً أخرى.

نوسة: إذن سآتي معكِ.

وقامت «نوسة» مع «لوزة» وانطلقت الصديقتان إلى عيادة الدكتور «مكرم»، وليس في ذهنيهما خطة محددة للحديث مع الدكتور ... ولكن الدكتور استقبلهما ببشاشة وسألهما عما تريدان فقالت «نوسة»: إن ما نسأل عنه قد يبدو لك غريبًا ... ولكن أرجو أن تُسهم معنا في حل مشكلة تعترض طريقنا.

قال الدكتور مبتسمًا: اسألي عما تشائين.

نوسة: هل حضر إليك منذ خمسة أيام تقريبًا رجل مصاب في يده وبها آثار زجاج رفيع من المستخدم في صناعة الأنابيب، وهذا الرجل أجنبي؟

قال الدكتور ببساطة: نعم هذا حدث فعلًا، وقد كان الجرح مُلوَّثًا من آثار مادة كيميائية خطيرة، فأجريتُ له عملية صغيرة لإخراج الزجاج وتطهير الجرح، وطلبت منه التردد على العيادة كل يوم لتنظيف الجرح.

ودقَّ قلب «لوزة» دقًّا سريعًا وهي تسأل: وهل كان يتردد على العيادة بانتظام كما طلبت منه؟

الدكتور: نعم كان يتردد بانتظام ولم يُخلِف يومًا واحدًا، وقد حضر قبل أن تصلا بدقائقَ قليلة.

ابتسمت «لوزة» وقد أحسَّت أنها قد وصلت إلى شيء هام، وسألت: سؤال أخير يا دكتور ... هل سيعود هذا الرجل للعيادة مرة أخرى؟

الدكتور: لا، لقد انتهت مدة علاجه اليوم ولن يعود مرة أخرى.

شكرت الصديقتان الدكتور بحرارة وانطلقتا على دراجتيهما في شوارع المعادي مسرعتَيْن إلى منزل «لوزة» حيث اعتاد الأصدقاء الاجتماع واتصلتا ببقية المغامرين ...

كان «عاطف» موجودًا طبعًا في المنزل لأنه شقيق «لوزة»، وحضر «محب» مسرعًا ولكن «تختخ» اعتذر لانشغاله بوجود جَده، ووعد بأنْ يحضُرَ بعد ساعة.

جلس المغامرون الأربعة يتحدثون، وكانت «لوزة» هي صاحبة الكلمة فقالت: إن هناك مجموعة من الألغاز في هذا اللغز ... وهو يذكرني بـ «لغز الألغاز» الذي اشتركنا في حله

من قبل ... وحتى لا نتوه وسط الألغاز هناك شيء واضح جدًّا ... إن الجاسوس الجريح ذا الرأس الكبير كان موجودًا بالمعادي طول الوقت ... ولم يغادر مصر مطلقًا! فكيف يقول الدكتور «عرفان» إنه كان معه في الطائرة في رحلتَيِ الذَّهاب والعودة وفي فترة بقائه خارج مصر؟!

عاطف: إذن الدكتور «عرفان» يكذب.

نوسة: هذا صحيح، إذا كان الرجل الذي قابلناه هو ولم يكن جاسوسًا متنكرًا.

محب: والحل؟

نوسة: الحل هو التأكد من شخصية الدكتور «عرفان».

عاطف: ولكن كما علمت فإن المفتش «سامي» متأكد من شخصية الدكتور «عرفان».

لوزة: هذا هو اللغز الذي لا يمكن حله إلا إذا وجدنا طريقة لوجود شخص واحد في مكانين مختلفين في نفس الوقت ... أي أن يكون الجاسوس ذو الرأس الكبير في مصر وخارج مصر في نفس الوقت، وهو ما لا يمكن إثباته.

نوسة: إن الوحيد الذي يملك حل اللغز هو الجاسوس ذاته، ويجب أن نبذلَ كل جهد للعثور عليه ما دامت «لوزة» متأكدة أنه موجود في مصر، بل في المعادي بالذات.

محب: المهم من أين نبدأ؟

لوزة: نبدأ بما عندنا من معلومات ... لقد قال سائق التاكسي الذي كان يقف عند زيارتي الأولى أمام عيادة الدكتور «مكرم»، إنه أخذ الراكب من قرب الاستاد ... وفي الأغلب فإن ذا الرأس الكبير يسكن قرب الاستاد.

عاطف: ولكن سكنه قرب الاستاد يشبه أن نقول إن شخصًا يسكن قرب ميدان التحرير مثلًا ... فهناك مئات بل آلاف البيوت ... فكيف نبحث عن الإبرة في كومة القش؟

لوزة: إن عندي تصوُّرًا معينًا لهذا المنزل الذي يسكن فيه هذا الجاسوس أو الجواسيس الثلاثة معًا ... بالإضافة إلى أن المنازل القريبة من الاستاد قليلة جدًّا.

محب: ما هو هذا التصور؟

لوزة: إنهم يسكنون في منزل له سُلَّم مرتفع.

عاطف: ومن أين حصلتِ على هذه المعلومات؟

لوزة: لن أصرِّح لكم بشيء الآن ... هيا بنا حتى لا نضيِّعَ وقتًا أطول.

وتحرك الأصدقاء الأربعة خارجين، وفي هذه اللحظة وصل «تختخ» ومعه «زنجر»، فشرحت له «لوزة» ما وصلوا إليه من استنتاجات.

قال «تختخ»: ولكن يا «لوزة» لا بد أن أعرف كيف وصلتِ إلى معرفة شكل هذا البيت دون أن تراه عيناكِ، أو يأتيَ ذكرُه في التحقيقات.

مالت «لوزة» على أذن «تختخ» وأخذت تتحدث بحماس وتشير بيديها و«تختخ» يستمع في انتباه شديد، وعندما انتهت من روايتها كان وجهها يتضرَّج احمرارًا على حين كان «تختخ» مستغرِقًا في التفكير، ثم التفت إلى بقية الأصدقاء قائلًا: أيها المغامرون ... لقد عثرت «لوزة» على أغرب لغز في العالم! وإذا صدق ما فكرت فيه فإنها تكون أكبر عبقرية بوليسية سمعت بها ... هيا بنا.

وانطلق الأصدقاء جميعًا إلى ناحية «الاستاد» ... وهي ناحية مهجورة في آخر المعادي وعلى مشارف الصحراء. وعندما اقتربوا من المكان وزَّعوا أنفسهم، واتفقوا على الانتشار في المنطقة على أن يلتقوا بعد ساعة عند شجرة ضخمة قُرب محطة الأتوبيس التي هناك.

مضى كلٌّ في طريقه، واختار «زنجر» أن ينضم إلى «لوزة». فقد أحس أنها صغيرة وتستحق رعاية خاصة ... ومضى خلفها، ومضت الفتاة الصغيرة تقطع الطريق وهي تنظر حولها ... وأخذت تلفُّ وتدور وفجأة شاهدت السيدة التي اصطدمت بها وأوقعت لها سلة الخضار ... وكانت بالمصادفة تقف في شرفة منزل له سُلَّم مرتفع ... واقتربت «لوزة» منها وألقت عليها التحية، وتذكرتها السيدة فردت التحية وقالت «لوزة»: إني أبحث عن منزل له سُلَّم مرتفع في هذه الناحية ... مثل هذا المنزل الذي تسكنين فيه ... فهل تعرفين منازل من هذا النوع؟

قالت السيدة: هناك أكثر من منزل له سلالم مرتفعة في هذه الناحية ... عمن تسألين؟

لوزة: عن منزل يسكن فيه ثلاثة من الغرباء الأجانب، وربما كان سُلَّمُه من الحديد.

قالت السيدة ببساطة: إنهم يسكنون في هذا المنزل وأنا أعمل عندهم، وكما ترين فهذا السُّلَّم من الحديد.

في المصيدة

وقفت «لوزة» ذاهلة لا تدري ماذا تفعل بعد أن سمعت هذه الإجابة التي لم تكن تتوقعها ... ثم أخذت تتذكر سلة الخضار التي وقعت من السيدة ... لقد كان بها كمية كبيرة من البنجر وهو خضار لا يحبه المصريون كثيرًا وإن كان يقبل على أكله الأجانب ... وقبل أن تسترسل «لوزة» في خواطرها فُتِح باب المنزل وخرج رجل طويل القامة أجنبي الملامح وتحدث مع مديرة المنزل بالإنجليزية وسألها عن «لوزة»، فقالت له إنها تسأل عن مسكن به ثلاثة من الأجانب.

التفت الرجل إلى «لوزة» وتحدث إليها بالإنجليزية وسألها: لماذا تبحثين عن هذا المنزل؟ فتلعثمت «لوزة» ... ولم تعرف بماذا تجيب وخاصة أن الرجل كان يتحدث بسرعة فلم تتابع كل ما قاله ... وإن فهِمت ماذا يقصد.

وطلب الرجل من مديرة المنزل أن تدخل لمتابعة عملها ثم نزل السلالم العالية متمهلًا ومد يده مُسلِّمًا على «لوزة» وهو يبتسم ووجدت «لوزة» نفسها دون أن تدريَ تمدُّ يدها ثم استسلمت له وهو يقودها على السلالم إلى المنزل.

كانت «لوزة» كالمسحورة ... لقد اكتشفت لغزًا من أغرب الألغاز، ثم عثرت على المنزل الذي تبحث عنه بأسرع ما يمكن، فدار رأسها ولم تدرِ ماذا تفعل ... وعندما وجدت نفسها داخل المنزل أدركت الخطر الذي تتعرض له، وأخذت تنظر بسرعة فيما ينبغي أن تقوله، ولكن قبل أن تقول أي شيء ظهر الرجل ذو الرأس الكبير ... الرجل الذي استطاعت عن طريق متابعته أن تصل إلى المكان ... ونظر إليها الرجل وبدا أنه يحاول أن يتذكرها ثم التفت إلى الرجل الآخر وقال: لقد قابلت هذه الفتاة في عيادة الدكتور.

ظهر الغضب على وجه الرجل الطويل وقال: يبدو أنها تتبعك.

كانت «لوزة» برغم حديثهما السريع تفهم كل شيء، وقال الرجل الطويل: هل تعتقد أن لها عَلاقة بالشرطة؟

ردَّ الآخر: يجب أن نأخذ حذرنا على كل حال، فليس مصادفةً أن أراها هناك وهنا … فلنحاول أن نعرف شيئًا منها.

قررت «لوزة» أنه تتظاهر بأنها لا تعرف لغتهما وهكذا عندما سألها الرجل ماذا تفعل في هذا المكان أخذت تنظر إليه ببلاهة شديدة وكأنه يتحدث إلى شخص آخر … ولم يجد الرجل فائدة من مناقشتها فأخذ يتحدث مع زميله، وفهمت «لوزة» من الحديث أنه يدور حول الرجل الثالث وأجهزة مهمة معه لا بد أن يحصلوا عليها قبل أن يغادروا المكان.

قال الرجل الطويل: وماذا سنفعل بهذه الطفلة قبل أن نسافر؟

قال الرجل الآخر: نتركها مع مديرة المنزل ونوصيها ألا تُطلق سراحها قبل آخر النهار حيث نكون قد غادرنا مصر.

قامت «لوزة» واقفة واتجهت إلى الباب وكأن زيارتها انتهت وكانت تريد أن تعرف ماذا يفعلون … وفجأة وقف الرجل الطويل في طريقها ثم جذبها إلى الكرسي وأشار إليه قائلًا: اجلسي هنا.

أدركت «لوزة» أنها وقعت في مأزق وأخذت تفكر بسرعة … ماذا ينبغي أن تفعل الآن؟ صحيح أن الأصدقاء سوف يبحثون عنها بعد أن يلتقوا في المكان المتفق عليه ولا يجدونها ولكنهم قد لا يصلون إليها أبدًا … ونسِيتْ «لوزة» أن «زنجر» الذكي كان معها.

ففي هذه الأثناء كان «زنجر» يقف في الظل تحت شجرة قريبة من المنزل في انتظار «لوزة»، وعندما مرَّ الوقت دون أن تظهر لم يتردد «زنجر» في صعود السلالم ثم بدأ يخربش الباب بمخالبه … استمع الرجلان إلى الصوت في دقة وقال أحدهما: ما هذا؟ إنه صوت غريب.

وأخرج كل من الرجلين مسدسًا، وأدركت «لوزة» من طول الماسورة أنهما مسدسان كاتمان للصوت وارتجف قلبها … فقد عرفت أن «زنجر» يحاول الدخول.

كانوا جميعًا يجلسون في الصالة، وتقدَّم أحد الرجلين يفتح الباب ووقف الآخر خلف الباب مستعدًّا وعندما فتح الرجل الباب بدا «زنجر» واقفًا ينظر إليه في عداء … ثم مدَّ بصره إلى الداخل وشاهد «لوزة» فأسرع نحوها، وأخذ يلحس يديها وقدميها ويدور ببصره بين الرجلين.

دخل الرجل ذو الرأس الكبير إلى إحدى الغرف، ثم عاد بعد لحظات ومعه مديرة المنزل التي سألت «لوزة»: إن الرجلين يريدان أن يعرفا لماذا حضرتِ هنا؟

ردت «لوزة» بثبات: إنني لن أجيب عن أي شيء.

قالت السيدة: لماذا؟ هل هناك شيء تخفينه عنهما؟

قالت «لوزة»: هل أنتِ مصرية؟

السيدة: نعم.

لوزة: هل تعلمين أن هؤلاء الثلاثة الذين تعملين عندهم جواسيس؟

تلوَّن وجه السيدة وقالت: جواسيس؟ غير معقول! إنهم علماء يخدمون بلادنا!

لوزة: أبدًا ... إنهم جواسيس، مطلوب القبض عليهم!

السيدة: ومن أين لكِ هذه المعلومات؟

لوزة: هل كان في ضيافتكم منذ نحو ستة أيام رجل مصري؟

السيدة: نعم، وقد أخبروني أنهم أحضروه لإجراء تجاربَ معه!

لوزة: هل سمحوا لكِ بالاقتراب منه؟

السيدة: لا، كنت أُعِدُّ لهم الطعام ... فقد كانوا هم الذين يقومون بخدمته.

لوزة: إن هذا الرجل هو الدكتور «عرفان»، وهو عالم مصري!

ندمت «لوزة» ... كما لم تندم في حياتها أبدًا بعدما نطقت اسم الدكتور «عرفان»، فقد كان الرجلان يتابعان الحديث بينها وبين السيدة ... وبرغم أنهما لم يكونا يفهمان شيئًا من الحديث، إلا أن اسم الدكتور «عرفان» لفت انتباههما وأدركا فورًا أن هذه الفتاة الصغيرة تعرف عنهما وعن صديقهما الثالث أكثر مما ينبغي.

وقف الرجل ذو الرأس الكبير قائلًا: يجب أن نرحل بأسرع ما يمكن.

كانت مديرة المنزل التي عرَّفت «لوزة» أن اسمها «توحيدة» قد وقفت هي الأخرى، ولكن الرجل أشار إليها بمسدسه أن تجلس، وكانت «توحيدة» تبدو وكأن صاعقة انقضَّت على رأسها عندما سمعت ما قالته «لوزة» ...

أما «لوزة» فكانت برغم الموقف الخطير الذي هي فيه تشعر بفرحة، فقد صحَّت فكرتها وثبَتَ أن الدكتور «عرفان» لم يغادر المعادي نهائيًّا ... ولكن كيف إذًا طار؟

كان عند «لوزة» الحل، وكانت تتشوق لمقابلة الأصدقاء والمفتش «سامي» لتشرح لهم فكرتها ... ولكن كيف؟ أخذت تدير البصر في المكان، لم يكن هناك أي أمل ... لقد كانت هناك نافذة مفتوحة حقًّا ... ولكن كيف السبيل إلى القفز منها!

كانت أصابعها تعبث بشعر «زنجر» عندما خطرت ببالها فكرة هائلة ... لو استطاعت أن تدفع «زنجر» إلى القفز من النافذة فسوف يتصرف «زنجر» ويذهب إلى الأصدقاء ويعود بهم ... ولكن كيف؟

انحنت «لوزة» على «زنجر» وأخذت تقول له بصوت هامس — وكأنه يسمع ما تقول: أيها العزيز «زنجر»، مطلوب منك أن تُنقذَنا، هل تفهم؟ كان «زنجر» يستمع إليها وعيناه على مسدسي الرجلين فسوف يطلقان عليه النار ... وهكذا فجأة ودون أن يدري أحد ما حدث انطلق الكلب الذكي الشجاع كالرَّصاصة عبر الصالة ثم قفز من النافذة إلى الشارع ... وعندما أفاق الرجلان من دهشتهما كان «زنجر» يطير على الأرض طيرانًا في طريقه إلى «تختخ».

عندما وصل «زنجر» إلى منزل «تختخ» أخذ يبحث عنه في الحديقة ثم صعد إلى فوق، وشاهدته والدة «تختخ» وهو يلف ويدور في المنزل فأدركت أنه يبحث عن صاحبه فقالت: «تختخ» ليس هنا، اجرِ وابحث عنه عند «عاطف».

فهِم «زنجر» المطلوب وانطلق في الشارع كالسهم ووصل إلى منزل «عاطف» ... ولكنَّ أحدًا من الأصدقاء الأربعة لم يكن هناك ... لقد كانوا جميعًا في انتظار «لوزة» حيث اتفقوا على اللقاء ... وكانوا يشعرون بالقلق لغياب «لوزة» ولكن «تختخ» كان يُطمْئنهم قائلًا: لا تخافوا، فما دام «زنجر» معها فلن تصاب بسوء.

في تلك الأثناء كان الجاسوسان في غاية الارتباك ... لقد كانا في انتظار زميلهما الثالث ولكن فرار «زنجر» المفاجئ وخوفهما مما سيفعله الكلب الأسود جعلهما يعيدان التفكير فيما سيفعلان ... قال كبير الرأس للطويل: إننا يجب أن ننطلق الآن ونبتعد بقدر الإمكان ... إننا لن نستطيع انتظار «جيفري» أكثر من هذا، لقد تأخر كثيرًا.

قال الطويل: ولكن كيف نتركه وحده؟! سوف يقع في يدي الشرطة وهذا يعرِّض أسرارنا للانكشاف.

كانت السيدة «توحيدة» تنظر إلى «لوزة» بإعجاب وهي تدهش لأن هذه الفتاة الصغيرة استطاعت معرفة هذه المعلومات المهمة عن الجواسيس، في حين ظلت هي معهم أسابيع طويلة دون أن تعرف شيئًا ... كانت تشعر أنها يجب أن تفعل شيئًا لإنقاذ «لوزة»، ولكن كيف؟

كان الأربعة — الجاسوسان و«لوزة» و«توحيدة» — يفكرون ... ولكن «زنجر» كان يجري في شوارع المعادي كالعاصفة يبحث عن الأصدقاء، كان يعرف جيدًا أن «لوزة» في خطر شديد وأنه وحده الذي يستطيع إنقاذها ... ولكن أين ذهب الأصدقاء جميعًا!

وكان الأصدقاء — بعد أن تعبوا في البحث عن «لوزة» — قد قرروا الاتصال تليفونيًّا بمنزلها ولكنها لم تكن في المنزل واتصل «تختخ» بمنزلهم وردَّت والدته قائلة: لا، لم تحضر «لوزة»، ولكن «زنجر» حضر منذ قليل وأخذ يبحث عنك في المنزل كله ثم انطلق جاريًا.

وضع «تختخ» سماعة التليفون ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: إن «زنجر» يتحرك وحده ويبحث عنا ... معنى ذلك أن «لوزة» في خطر ... لقد وجدت منزل الجواسيس في الغالب ولكنهم قبضوا عليها ولعلهم الآن يستعدون لمغادرة مصر بعد أن عرفوا أن أحدهم قد اكتُشف أمره.

محب: ماذا نفعل؟

تختخ: سنعود إلى حيث كنا نبحث وسندور هناك، وما دامت «لوزة» قد وجدت المنزل المطلوب فسوف نجده، أو لعلنا نعثر على «زنجر».

وقفز الأصدقاء جميعًا إلى دراجاتهم وقد خفقت قلوبهم وانطلقوا مسرعين في اتجاه الاستاد وكان «زنجر» قبلهم ووقف حيث كانوا ينتظرون أول مرة ... ولم تمضِ لحظات حتى لمح الدراجات الأربع تأتي من بعيد، فلم يضيِّع ثانية واحدة بل انطلق إليهم مسرعًا ... ورآه «عاطف» أولًا فصاح: «زنجر»! ها هو «زنجر».

وأسرع «زنجر» يُلقي بنفسه على «تختخ» وهو ينبح، فقال «تختخ»: على مهلك يا «زنجر» ... أين «لوزة»؟

وجرى «زنجر» أمامهم يقودهم إلى طريق المنزل، ولم تمضِ دقائق حتى وجدوا المنزل ذا السلالم المرتفعة، وقفز «زنجر» يريد اقتحام المنزل ولكن «تختخ» جذبه بعيدًا قائلًا: لا بد من وضع خطة دقيقة قبل دخول هذا المنزل؛ فنحن لا نعرف ماذا يحدث في الداخل.

ووقف الأصدقاء على مَبْعَدة يفكرون وهو يراقبون المنزل الساكن ويتصورون ما يحدث بداخله.

الخطة

قال «تختخ» وهو ينظر إلى المنزل: إن هناك ثلاثة أشياء سنفعلها في وقت واحد: أولًا، تذهب «نوسة» فورًا إلى أقرب تليفون وتتصل بالمفتش «سامي» وتطلب منه الحضور بأسرع ما يمكن، ثانيًا: سيقف «محب» و«عاطف» لمراقبة البيت.

عاطف: وماذا تفعل أنت؟

تختخ: سأدخل البيت!

محب: غير معقول!

تختخ: لا تنسَ أن «لوزة» في الداخل ونحن لا ندري ماذا يحدث هناك ... لا بد أن يكون أحدنا بجوارها ... فقد يحاول هؤلاء الرجال إيذاءها ... إنهم لا يتورَّعون عن شيء إذا أدركوا أن «لوزة» عرفت حقيقتهم.

انصرفت «نوسة» مسرعة ووقف «تختخ» يفكر قليلًا ثم قال: إذا حاولت دخول المنزل من الباب فقد يمنعونني، أو قد يُطلقون عليَّ الرَّصاص ... ولهذا سأحاول الوصول من إحدى النوافذ المفتوحة ... إن المنزل مُحاط بسور مرتفع وتُحيط به الأشجار العالية من جميع الجهات ... وسأستفيد من هذا لأدخل.

وتقدم «تختخ» مستترًا بما يجد من أشجار حتى أصبح بجوار سور المنزل، ثم استند إلى جذع شجرة وتسلَّق السور ... وكان «زنجر» يتبعه عن قرب فقفز خلفه. ومن السور وصل «تختخ» إلى السطح ودار حوله في محاولة لإيجاد مكان مفتوح ينزل منه إلى البيت، وأخذ «تختخ» يبحث عن شيء في السقف كان ينتظر وجوده ... كان ماسورة ممتدة بجوار السقف مفتوحة من أحد الجوانب ومُخرَّمة تُشبه المصفاة، وأدرك «تختخ» أن «لوزة» كانت على حق في تصورها عن خطة الجواسيس في خطف الدكتور «عرفان».

كان «تختخ» يسير محاذرًا أن يسمعه مَن في الداخل، ولكنه لم يكن يعرف أن أحد الجواسيس الثلاثة كان بالخارج، وفي هذه الأثناء حضر الجاسوس يركب سيارة سوداء ... شاهد «تختخ» على السطح، وبسرعة صعد إليه وصاح قائلًا: لا تتحرك وإلا أطلقت الرصاص!

كانت الأشجار العالية تخفي ما يحدث عن عيون المارة، ولم يكن هناك في هذا المكان المتطرف من المعادي إلا قلة قليلة ... فوجئ «تختخ» بما حدث ولكن «زنجر» لم يُفاجأ، فسرعان ما قفز على الرجل كالعاصفة وأَعْمَلَ أسنانه ومخالبه فيه، وصاح الرجل لاعنًا فالتفت «تختخ» سريعًا واشتبك معه في صراع عنيف، وكان المسدس قد وقع بعيدًا والجاسوس يحاول الوصول إلى المسدس، وأخذا يتدحرجان على السطح، ولفتت الحركة أسماع الجاسوسين فصعد أحدهما إلى السطح وحسم المعركة بقوله: ابتعد أيها الولد وإلا أطلقتُ النار ...

ومرة أخرى تدخل «زنجر» وقفز على الرجل، ولكن الرجل كان أسرع منه فأطلق عليه الرصاص من مسدسه الصامت وصرخ «زنجر» وأدرك «تختخ» أنه قد أصيب، وجُن جنونه ودفع الرجل الذي كان مشتبكًا معه دفعة قوية، ثم التفت إلى الرجل الآخر محاولًا مهاجمته ولكن الرجل ابتعد عنه مسرعًا وقال في صوت منذر: لا تتحرك وإلا أطلقتُ الرَّصاص.

أسرع «تختخ» غيرَ مبالٍ بتهديد الرجل إلى «زنجر» الذي كان ينام على جانبه وأخذ يبحث عن مكان إصابته واطمأن قليلًا عندما وجد أن «زنجر» قد أُصيب في ساقه وأنها ليست إصابة مميتة.

تحت تهديد المسدسين اضطُر «تختخ» أن يحمل «زنجر» وينزل السلم إلى أسفل حيث كان الجاسوس الثالث ما زال يحرس «لوزة» و«توحيدة» وتحدَّث الرجال الثلاثة بسرعة، وكان واضحًا أنهم يتفقون على مغادرة المنزل بأسرع ما يمكن، وذهب أحدهم إلى إحدى الغرف وأحضر حبلًا وبسرعة وبأيدٍ مدرَّبة ربَطَ «لوزة» ثم «توحيدة» ثم «تختخ» إلى كراسيِّهم، ووضع على أفواههم كمامات، وأخذ الرجال الثلاثة يحزمون أمتعتهم بسرعة و«تختخ» يفكِّر فيمَ يفعل ... سيهرب الجواسيس وسيكون من الصعب العثور عليهم مرة أخرى.

وحمل الجواسيس حقائبهم واتجهوا إلى الباب وكان أحدهم يقترح إشعال النار في المنزل لإخفاء آثارهم وإسكات «لوزة» و«توحيدة» و«تختخ» إلى الأبد، ولكن الرجلين الآخرين رفضا الفكرة وفتحوا الباب واتجهوا إلى السيارة.

لم يحسب الجواسيس الثلاثة حساب خطة «تختخ» الذكية، فقد كان «محب» و«عاطف» في أثناء مراقبتهما المنزلَ قد شاهدا السيارة وهي تقف بالباب وشاهدا الجاسوس وهو يصعد إلى السطح خلف «تختخ» وفكَّرا بسرعة وقررا التدخُّل.

لقد أسرعا إلى السيارة فأفرغا عجلاتها الأربع من الهواء ثم انتظرا حتى تأكدا أن الصراع على السطح قد انتهى فصعد «محب» إلى السطح وشاهد كل ما حدث في صالة المنزل، وانتظر حتى خرج الجواسيس ثم نزل مسرعًا إلى الصالة ليفك قيود «تختخ» و«لوزة» و«توحيدة» على حين وقف «عاطف» يراقب ما سيفعله الجواسيس الثلاثة عندما يجدون السيارة وقد أُفرغت إطاراتها الأربع، وبرغم خطورة الموقف فإن «عاطف» المرِح الساخر لم يملك نفسه من الابتسام وهو يرى الارتباك الذي أصاب الجواسيس أمام السيارة التي أصبحت جثة هامدة.

عندما كانت هذه الأحداث تجري كانت «نوسة» قد اتصلت بالمفتش «سامي» ثم اتصلت أيضًا بالشاويش «فرقع» الذي لم يصدِّق شيئًا مما روته له ولكنها اضطُرت أن تقول له إن المفتش «سامي» هو الذي يطلبه حتى يتحرك سريعًا ... وقد وصل الشاويش على دراجته في نفس الوقت الذي خرج فيه الجواسيس الثلاثة ووقفوا حائرين أمام السيارة.

وكانت «نوسة» قد عادت وانضمت إلى «عاطف» فشاهدا معًا الشاويش وهو يتقدم على دراجته باحثًا عن المنزل فأسرعا إليه وأشارا إلى السيارة وإلى الجواسيس الثلاثة.

وصاح الشاويش: هل هي نكتة أخرى سخيفة؟ أين المفتش «سامي»؟

قالت «لوزة» بصوت هامس: خفِّض صوتَك يا حضرة الشاويش؛ إن أمامك صيدًا ثمينًا، فهؤلاء هم الجواسيس الذين خطفوا الدكتور «عرفان».

أُصيب الشاويش بذهول ولم يصدِّق أن الأولاد قد صَدَقوه القولَ وأنهم يضعون بين يديه هذا الصيد الثمين ... وفي هذه اللحظة كان الجواسيس الثلاثة قد استقروا على رأي فألقَوْا بحقائبهم الثقيلة وانطلقوا يمشون مسرعين يبحثون عن تاكسي يُخرجهم من المعادي، وكان «تختخ» قد ظهر ومعه «محب» و«لوزة» و«توحيدة» عند الباب ... ورأى الجواسيس يسرعون بالفرار، وأخذ يفكر في طريقة تمنعهم دون أن يعرِّض نفسه أو أصدقاءه للخطر، ولكن الشاويش «علي» تصرَّف لأول مرة في حياته التصرُّفَ الصحيح، فقد تقدَّم من الجواسيس الثلاثة وأطلق عيارًا ناريًّا في الهواء إنذارًا لهم ... كان دويُّ الرَّصاص كافيًا للفت انتباه المارة، وأهم من هذا أنه أرشد سيارات رجال الشرطة التي كانت تبحث عن المنزل في تلك اللحظة تتقدمهم سيارة المفتش «سامي»، فقد اتجهت

السيارات فورًا إلى اتجاه الطلقة ... وكان الجواسيس قد اختاروا ثلاث أشجار واختفَوْا خلفها وأخرجوا مسدساتهم وبدءوا إطلاقَ رَصاصهم الصامت على الشاويش.

أطلق الشاويش رَصاصة أخرى ثم سمع «عاطف» يناديه ليختبئ بعيدًا عن مرمى رَصاص الجواسيس فأسرع يختفي خلف بعض الطوب ... في تلك اللحظة وصلت السيارات، ونزل رجال الشرطة يحملون المدافع الرشاشة وأحاطوا بالمكان، ونزل المفتش «سامي» من سيارته واتجه ببساطة إلى حيث أشارت «نوسة» إلى مكان الجواسيس وكان الجواسيس الثلاثة قد أدركوا أن لا فائدةَ من المقاومة، فخرجوا يرفعون الأيدي بعد أن أسقطوا مسدساتهم.

كان المفتش «سامي» سعيدًا بالقبض على الجواسيس الثلاثة ... ولكن الشاويش «علي» كان أشدَّ سعادةً بعد أن هنَّأه المفتش على مجهوده ... ولكن مَن صاحب الفضل الأول في كشف مكان الجواسيس الثلاثة؟

إنها «لوزة» صاحبة أغرب فكرة لتفسير اللغز ... وعندما أخذ المفتش يُقبِّلها مُعجبًا بها وسألها عن فكرتها أشارت إلى «تختخ» قائلة: سيشرح لكم «تختخ» فكرتي ... لقد قلتُها له وهو أَقْدَرُ مني على شرحها وسأهتم أنا بـ «زنجر» ...

قال «تختخ» — وقد جلس مع المفتش والأصدقاء في منزل الجواسيس على حين يقوم الضابط بتفتيشه: إن فكرة «لوزة» غريبة حقًّا ... ولكنني تأكدتُ من صحتها، فالدكتور «عرفان» لم يخرج من مصر!

التفت جميع الحاضرين إلى «تختخ» في انتباه شديد ودهشة بالغة وهو يقول: نعم، إن الدكتور «عرفان» لم يخرج من مصر بل لم يغادر المعادي مطلقًا ... ولم يركب طائرة ... لقد كان ذلك من قبيل الوهم.

المفتش: كيف؟ لقد ركب الطائرة وحُبس في منزل تسقط عليه الأمطار وكان يتناول طعامًا غريبًا، ويقرأ جرائدَ أجنبية ... ويسمع محطة إذاعة أجنبية فكيف لم يخرج من القاهرة؟

قال «تختخ»: لقد كان كل ذلك مجرد خطة نُفِّذَت ببراعة ... لقد كان الدكتور «عرفان» واقعًا تحت تأثير مخدر خفيف، وقد كان المخدر الخفيف مقصودًا حتى يشعر بما يحدث حوله دون أن يراه، وبهذا يتوهم ما يريدون إحداثه من تأثير فيه إيحاء له ... ولو كانوا يريدون ألا يعرف أين يذهب لأعطَوْه مخدِّرًا قويًّا بحيث لا يعرف مطلقًا ماذا حدث وأين ذهب.

وسكت «تختخ» قليلًا وقد حبس الجميع أنفاسهم يستمعون ثم مضى يُكمل: لقد صعد الدكتور «عرفان» سُلَّمًا حديديًّا مرتفعًا ظن أنه سُلَّم طائرة، ولكنه كان سُلَّم هذا المنزل، وقد وضع في مدخل الباب جهاز تسجيل يذيع تسجيلًا لأصوات المطار والمسافرين، وعندما دخل المنزل كانوا قد أعدوا كُرسيًّا ضيِّقًا ككراسيِّ الطائرة له حزام ربطوه على وسطه ليظن أنه في طائرة، ثم أداروا مروحة قوية تشبه مروحة الطائرة ليظن أنه في طائرة، ثم حقنوه بمخدر قوي ونقلوه إلى غرفة مكيفة الهواء تكييفًا باردًا وقد فُرشت بأثاث غربي، وعلى سطح هذه الغرفة مأسورة مثقوبة كالمصفاة كانوا يملئونها بالماء، بحيث يتساقط منها مثلما يتساقط المطر الخفيف على النافذة ثم كانوا يقدِّمون له طعامًا أجنبيًّا وكان هناك راديو قوي ينقُل بعضَ الإذاعات الأجنبية ... وأحضروا له بعض الجرائد الأجنبية وهكذا ظن الدكتور «عرفان» أنه قد طار ونُقل إلى بلد أجنبي.

عندما انتهى «تختخ» من قصته، نظر إلى الوجوه التي حوله فوجدهم جميعًا يُحملقون فيه كأنه يتحدث عن قصة خرافية، فقال: لقد عثرتُ على الماسورة المثقوبة وسوف تجدون بقية الأدوات التي استُخدِمت لخداع الدكتور «عرفان» في هذا المنزل.

وفعلًا خرج الضباط وهم يحملون في أيديهم المروحة الضخمة وجهاز التسجيل والراديو وأشياء أخرى كثيرة مما استُخدِمت في خداع الدكتور.

وعندما روى المفتش «سامي» للجواسيس الثلاثة القصة كاملة كما رواها «تختخ» لم يستطيعوا الإنكار واعترفوا بكل شيء ... ولما سألهم المفتش «سامي» لماذا لم يكتفوا بخطف الدكتور «عرفان» دون كل هذه التأثيرات الغريبة، قال أحدهم: ظننا أنه إذا أدرك أنه نُقل إلى بلد أجنبي فسوف لا يجد مناصًا من تزويدنا بالمعلومات التي نطلبها ... ولكنه كان شجاعًا ولم يعترف.

نظر المفتش «سامي» إلى «لوزة» نظرة إعجاب قوية، ثم قال لها: كيف بدأتِ تشُكِّين في قصة الرجل الذي طار؟

ردَّت «لوزة» في حياء: أولًا لأنني أثق في قدرة رجال الشرطة عندنا ... ومن غير المعقول أن يستطيع أحد تهريب رجل تحت أعين رجال الشرطة في المطار دون أن يتنبَّهوا ... ثانيًا، عندما رأيت الجاسوس ذا الرأس الكبير في عيادة الدكتور «مكرم» في الوقت الذي كان فيه — حسب رواية الدكتور «عرفان» — في «لندن» ... فكيف يوجد شخص في مكانين في وقت واحد؟! ... مستحيل، وأنتم لم تصدِّقوا أن الرجل الذي رأيتُه في عيادة الدكتور «مكرم» هو الجاسوس، ولكن قلبي كان يحدِّثني بذلك وقد شجَّعني «تختخ» على المُضيِّ في حل اللغز.

وبينما كانت سيارة المفتش «سامي» تنقُل «زنجر» إلى المستشفى كان الأصدقاء يُحيطون به من كل جانب … وكان الشاويش «علي» يروي للناس الذين تجمَّعوا حول المنزل … كيف قبَضَ وحده على الجواسيس الثلاثة!


هنداوي